

Bible Study

The Epistle of St. Paul to the Romans

رسالة معلمنا بولس الرسول إلي أهل رومية

Fr. Jacob Nadian
St. Bishoy Coptic Orthodox Church

الرسالة إلى أهل رومية

الإصحاح السادس: البنوة الحقيقية لله

- فَنَدَّ القديس بولس حجة اليهود من جهة بنوتهم لإبراهيم الحرّ جسدياً، موضحاً أن إبراهيم قد تبرّر وهو في العُرلة بالإيمان، كما تبرّر بذات الإيمان وهو في الختان، لذا فهو أب لأهل العُرلة كما هو أب لأهل الختان، أي هو أب للجميع.
- فإن أردنا البنوة لإبراهيم نلتزم أن نتبرّر معه بالإيمان لكي نرتفع إلي البنوة الحقيقية لله من خلال المعمودية التي يتمتع بها الجميع.
- وهذا يتم إن عشنا كأبناء لله في جدّة الحياة مقدّمين أجسادنا آلات برّ لله، بعد أن كانت آلات إثم للخطية.
- هذا هو مفهوم الحرّية الجديد: ليس الانتساب جسدياً لإبراهيم، وإنما ممارسة الحياة المقدّسة بالنعمة الإلهية بروح البنوة.

الرسالة إلى أهل رومية

"فماذا نقول؟ أنبقى في الخطية لكي تكثر النعمة؟ حاشا! نحن الذين مُتْنَا عن الخطية، كيف نعيش بعد فيها؟ أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته؟ فدفنا معه بالمعمودية للموت، حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب، هكذا نسلك نحن أيضاً بجدة الحياة. لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته، نصير أيضاً بقيامته" [1 - 5]

- إن كان الله بكثرة رحمته أفاض بنعمته علينا لينزع عنا كل أثر للخطية، فتمجد فينا نحن الخطاة، هذا لا يدفعنا للاستهتار بالخطية أو التهاون في الجهاد ضدها، إنما يليق بنا أن نتركها سالكين كما يليق بنا كأولاد لله، نلنا بنعمته البنوة له.
- هكذا يضع "المعمودية" أماننا لندرك مركزنا الجديد خلال النعمة فنحيا في جدة الحياة كأولاد لله.

الرسالة إلى أهل رومية

- يقول القديس يوحنا الذهبي الفم أن المعمودية قد أماتت الخطية فينا، ولكي تظل الخطية ميتة يليق بنا أن نجاهد بلا انقطاع، فلا نُطيع الخطية بالمرّة، بل نقف أمامها جامدين كالموتى.
- ماذا يعني "اعتمدنا لموته"؟ يقصد موتنا نحن كما مات هو. فالمعمودية هي الصليب، وكما كان الصليب والدفن بالنسبة للسيد المسيح، تكون المعمودية بالنسبة لنا، ولو أن التطابق ليس تماماً. لأنه هو مات وُدُن بالجسد، أمّا نحن فنمارس الاثنين (الموت والدفن) بالنسبة للخطية (أي نميت الخطية فينا).
- لم يقل "متحدين معه بموته" وإنما قال "بشبه موته" [5]، فإن هذا وذاك هما موت، لكن موضوع الموت مختلف، السيد المسيح مات بالجسد، أمّا نحن فنموت عن الخطية التي هي من شهواتنا.

الرسالة إلى أهل رومية

- واضح أن من يعتمد يُصلب فيه ابن الله، فإن جسدنا لا يقدر أن يطرد الخطية ما لم يُصلب مع الرب يسوع جسدياً.
- فندفن مع السيد المسيح بالمعمودية لكي نقوم معه وننزل معه لكي نرتفع أيضاً معه ونصعد معه، فنتمجد أيضاً معه.
- ونلاحظ هنا رباط قوي بين الصلب والدفن والقيامة، أو بين الموت مع السيد المسيح والحياة معه بقوة قيامته.
- فإن كانت المعمودية هي دفن، فهي في نفس الوقت قيامة، بهذا نفهم طريق السيد المسيح كطريق ضيق صعب، وفي نفس الوقت طريق مُبهِج، لأنه طريق الألم مع السيد المسيح والقيامة معه.
- هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن تمتعنا بقيامته ليس أمراً مستقبلياً فحسب، إنما هي حياة حاضرة نعيشها في حياتنا اليومية.

الرسالة إلى أهل رومية

- يُقول القديس يوحنا الذهبي الفم: إذ يلمح هنا عن التزامنا بالسلوك المدقق يُشير إلى موضوع القيامة... فإنه يقصد بكلماته هكذا: أتؤمن أن السيد المسيح مات وقام؟ آمن بهذا من جهة نفسك، فالقيامة كالصلب والدفن هي خاصة بك. إن كنت تشترك في الموت والدفن فبالأولي أن تشترك في القيامة والحياة.
- إن كانت الخطية، الأمر الأصعب، قد أُزيلت فبلا شك يُنزع الموت، الأمر الأقل (فتنال القيامة)، الآن. إذ يقدم لنا القيامة فإنه يسألنا أمراً آخر هو تغيير (تجديد) عاداتنا هنا (بكونها قيامة عاملة فينا).
- فعندما يصير الزاني عفيفاً والطماع رحيماً والعنيف مطيعاً، بهذا تكون القيامة عاملة هنا كعربون للقيامة الأخرى. كيف يُحسب هذا قيامة؟ لأن الخطية تموت والبر يقوم، الإنسان القديم ينتهي والجديد الملائكي يعيش.

الرسالة إلى أهل رومية

- الحديث عن الموت مع السيد المسيح والقيامة معه في جرن المعمودية، يبرز دورنا الإيجابي في "الإماتة".
- فإن كان السيد المسيح يهبنا أن نموت معه في المعمودية، إنما ليقدم لنا إمكانية السلوك والجهاد كل أيام غربتنا بلا توقف، حتى لا نفقد نعمة المعمودية أو ثمرها فينا، أي حتى لا نفقد تمتعنا بالموت مع السيد المسيح.
- يتحدث هنا عن نوعين من الإماتة والموت، الأولي هي عمل السيد المسيح (فينا) في المعمودية، والثاني نمارسه بشغف بعد المعمودية؛ فدفن خطايانا السابقة هو هبة منه، لكن أن نبقي أمواتاً عن الخطية بعد المعمودية، فيلزم أن يكون موضع شغفنا لنجد الله نفسه معيناً لنا.
- فإن سلطان المعمودية لا يقف عند محو معاصينا السالفة، إنما تهبنا أماناً من جهة المعاصي اللاحقة.

الرسالة إلى أهل رومية

- بالنسبة للخطايا السابقة نساهم نحن بالإيمان لكي تُمحي، وهكذا أيضاً بالنسبة للخطايا اللاحقة يلزمك إظهار تغيير نيتك مؤكداً أنك لا تدنس نفسك بعد. هذا هو ما يُشير به عليك بقوله: **"إن كنا قد اتحدنا (زرعنا) معه في شبه موته نصير أيضاً بقيامته"** [5].
- هذا يقودنا إلى السيد المسيح محتملين الآلام لنصير مثله؟ لهذا لم يقل: **"اتحدنا (زرعنا) معه في موته"**، بل قال: **"في شبه موته"**. لأن جوهرنا لا يموت بل "إنسان الخطية" أي "الشر" هو الذي يموت.
- **"إن كنا قد زرعنا معه"**؛ فبإشارته للزرع هنا يلمح إلى الثمر الذي ينتج عنه، فكما أن جسد (السيد المسيح) بدفنه في الأرض قدم لنا ثمر الخلاص للعالم، هكذا نحن أيضاً إذ ندفن في المعمودية، نحمل ثمر البر والتقدس والتبني وبركات بلا حصر، كما نحمل بعد ذلك عطية القيامة.

الرسالة إلى أهل رومية

- نحن دفنا في المياه، أما هو ففي الأرض. نحن دفنا عن الخطية، أما هو فمن جهة الجسد، لذلك لم يقل: "زرعنا معه في موته" وإنما **"في شبه موته"**... لكنه لم يقل: "نصير أيضاً في شبه قيامته" بل قال **"بقيامته"** ذاتها.
- غاية المعمودية إننا إذ نُصَلَّب مع السيد المسيح ننعَم بالحياة المُقامة الجديدة، فنعيش هنا بفكر سماوي متمتعين بعربون الميراث الأبدي.
- فالذل يبحث عن المعرفة الروحية الحقيقية لن يضع غايته الرئيسية في الحياة (الزمنية) إنما يبقى على الدوام سعيداً ومطوباً وصديقاً ملوكياً لله.

الرسالة إلى أهل رومية

- يتقبل المعمدون الميراث، هؤلاء الذين يعتمدون بموت السيد المسيح ويدفنون معه ليقوموا معه، لذا فيؤكد لنا: **"فإن كنا أولاداً، فإننا ورثة أيضاً، ورثة الله و وارثون مع المسيح. إن كنا نتألم معه، لكي نتمجد أيضاً معه"** (رومية 8: 17)
- ورثة الله لأن نعمة السيد المسيح توهب لنا؛ وورثة مع السيد المسيح، لأننا نتجدد بحياته.
- وأيضاً ورثة السيد المسيح إذ وهبنا الميراث بموته، كما لو كنا ورثة للموصي.
- إذ أراد القديس بولس تأكيد حقيقة القيامة لم يقل "نصير أيضاً بشبه قيامته" بل **"بقيامته"** عينها، قدم لنا عربون هذه القيامة المقبلة خلال حياتنا الزمنية.

الرسالة إلى أهل رومية

"عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلب معه، ليبطل جسد الخطية، كي لا نعود نُستعبد أيضاً للخطية، لأن الذي مات قد تبرأ من الخطية، فإن كنا قد متنا مع المسيح نوُمن أننا سنحيا أيضاً معه"
[8 - 6]

- لنمت هنا عن الخطية فنحيا للبر. هذه هي القيامة الأولى التي يدعوها القديس بولس "جدة الحياة" [4]، عربون القيامة الأخيرة.

- "ليبطل جسد الخطية": الذي يبطل هو شرور الإنسان وآثامه التي عاشت فيه فمات روحياً.
- بالمعمودية يموت الإنسان القديم بهذا الجسد، أي "الآثام"، ليُمارس قوّة القيامة كحياة جديدة، بفكر جديد وتسبحة جديدة.

الرسالة إلى أهل رومية

يقول القديس جيروم: حتى التسبحة التي نتغنى بها جديدة: "وهم يترنمون كترنيمة جديدة أمام العرش وأمام الأربعة الحيوانات والشيوخ. ولم يستطع أحد ان يتعلم الترنيمة إلا المئة والأربعة والأربعون ألفاً، الذين اشتروا من الأرض" (رؤيا 14: 3)

إذ نخلع الإنسان القديم:
"أن تخلعوا من جهة التصرف السابق الانسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور" (أفسس 4: 22)

فلا نسير في عتق الحرف بل في جدة الروح:
"وأما الآن فقد تحررنا من الناموس، إذ مات الذي كنا ممسكين فيه حتى نعبد بجدة الروح لا بعنق الحرف" (رومية 7: 6)

الرسالة إلى أهل رومية

- إن كنا نقبل أن نبقي في حالة "موت عن الخطية" فما هي المكافأة؟

"فإن كنا قد متنا مع المسيح نوؤمن أننا سنحيا أيضاً معه" [8]

- وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم أنه إذ يطلب منا أن نقوم بهذا الدور البطولي أن نموت عن الخطية، فنصير بالنسبة لها كمن هو مُلقي جامداً بلا حراك.

- فعطية الله التي وهبت لنا في المعمودية، ليست هي التي تقدّم لنا الأكاليل، ولكن "الحياة مع السيد المسيح"، حيث قال: **"سنحيا أيضاً معه"**.

- إذاً، قبل نوالنا الإكليل، الشركة مع ربنا يسوع المسيح هي في ذاتها أعظم إكليل.

الرسالة إلى أهل رومية

"عالمين أن المسيح بعدما أقيم من الأموات لا يموت أيضاً، لا يسود عليه الموت بعد، لأن الموت الذي مات به مات له للخطية مرة واحدة، والحياة التي يحيها فيحيها لله، كذلك أنتم أيضاً احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية، ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا" [9 - 11]

- لنلاً نخاف طريق "الموت مع المسيح"، خاصة وأنه يطالبنا به كل أيام غربتنا بعد تمتعنا بالدفن معه في المعمودية، أوضح القديس بولس جاتيين: الأول أن هذا الموت هو "مع المسيح"، يرافقنا الطريق بكونه الحياة والقيامة، فلا يستطيع الموت أن يحطّمنا.

- والثاني أن السيد المسيح مات مرة واحدة عن خطايانا وقام، فلا يعود يموت ثانية، هكذا يهبنا قوة القيامة والغلبة على الخطية.

- بهذا لا يكون موتنا عن الخطية حرماناً أو خسارة، بل ممارسة لقوة الغلبة والنصرة التي لنا بالسيد المسيح غالب الخطية والموت.

الرسالة إلى أهل رومية

- يؤكد القديس بولس أن السيد المسيح لم يموت عن ضعف خاص به، إنما **"للخطية"**، لكي يحطم خطايانا ويبدد قوتها، لهذا لم يعد لها سلطان علينا ما دمنا في اتحاد معه.
- حقاً الخطية خاطئة جداً وعنيفة، بسببها مات السيد المسيح عنا مرة واحدة، لكنه بموته هدم سلطانها، فلا نخاف من السير معه في هذا الطريق.
- لقد مات السيد المسيح مرة واحدة بلا تكرار، لأنه لم يموت عن ضعف بل عن قوة الحب البازل، لكي إذ لا يموت مرة أخرى يهبنا أن نشترك معه في موته وأن نشاركه قيامته التي لا يغلبها الموت.

الرسالة إلى أهل رومية

- هذه هي نعمة الله، وهذه هي طرق الله في إصلاح بني البشر، فإنه تألم ليحرر الذين يتألمون فيه، نزل لكي يرفعنا، قبل أن يولد حتى نحب ذلك الذي هو ليس (بإنسان مولود عادي)، نزل إلى حيث (الموت) ليهبنا عدم الموت، صار ضعيفاً لأجلنا حتى ننال قوة.
- مات السيد المسيح مرة واحدة عن الخطية، مقدماً ذبيحة الحب باسمنا، هذه التي يشتهي أن يقدمها في حياة شعبه وخدامه.
- يروى لنا القديس أمبروسيو قصة لقاء السيد المسيح مع القديس بطرس عند أبواب روما وهو خارج تحت ضغط المؤمنين ليهرب من الاستشهاد، فرأى السيد حاملاً صليبه، فعرف أنه يريد أن يُصلب في شخص خادمه، لهذا عاد إلى روما، وقدم نفسه للموت من أجل المسيح، وتمجد ربنا يسوع بصلبه.

الرسالة إلى أهل رومية

"كذلك أنتم أيضاً أحسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا. إذن لا تملكنّ الخطية في جسدكم المانت لكي تطيعوها في شهواته، ولا تقدّموا أعضائكم آلات إثم للخطية، بل قدّموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات، وأعضاءكم آلات برّ لله، فإن الخطية لن تسودكم، لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة" [11 - 14]

- إن كان السيد المسيح قد مات "للخطية" كي لا يكون لها سلطان علينا، فإنه لا يليق بنا إلا أن نسلّم القلب عرشاً له، بعد أن ملكت عليه الخطية زماناً. لنمت عن الخطية، فلا تملك علينا بعد.

- لنحيا لله بالمسيح يسوع ربنا الذي يملك فينا، ويقم مملكته داخل قلوبنا، مقدّمين كل أعضاء جسدنا وطاقتنا وعواطفنا لحساب ملكوته، كآلات برّ لله بعد أن كانت آلات إثم للخطية.

الرسالة إلى أهل رومية

- لا يجسر أحد أن يقول: "ملكي وإلهي" (مزمو 5: 2) إلا ذلك الذي لا تملك الخطية في جسده المانت. فالسيد الرب يملك فيّ، أما الخطية فلا تملك أبداً.

- إنها كرامة عظيمة وشرف كبير أن يكون الإنسان عبداً للرب لا للخطية.

- قول الكتاب "قلب الملك في يد الرب" (أمثال 21: 1)، تعني يجب أن نكون ملوكاً فنحكم جسدنا (من الخطية) ونخضعه، فيكون قلبنا في يد الله.

- قال "إذن لا تملكن الخطية في جسدكم المانت" [12]، ولم يقل "لا تدعها توجد هناك" أي إنها موجودة فعلاً.

- أذاً، ما دمت تحمل جسداً قابلاً للموت تحاربك الخطية؛ لكن لبيتك لا تجعلها تملك، أي اقطع رغباتها، فإن بدأت تُطيعها تملك عليك.

الرسالة إلى أهل رومية

- مرة أخرى يؤكد القديس بولس أن الدعوة للموت مع السيد المسيح لا تعني تحطيم كيان الجسد بل تقديسه، فقد رأينا في الحديث عن المعمودية أن الإنسان العتيق الذي يُصلب [6] إنما يبطل جسد الخطية لا أعضاء الجسد في ذاتها.

- والآن إذ يتحدّث عن الجهاد بعد المعمودية خلال إمكانات المعمودية أو خلال "عمل النعمة" فينا يؤكد أن الدعوة للموت مع السيد المسيح ليست دعوة سلبية للخسارة والتبديد، وإنما دعوة إيجابية للربح.

- فالموت هنا هو ربح، إذ فيه تموت أعضاءنا كآلات إثم للخطية ولكنها تقوم كآلات برّ لله عندما نقدم ذواتنا أعضاء حية له، إذ يقول: **"ولا تقدّموا أعضاءكم آلات إثم للخطية، بل قدّموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات وأعضاءكم آلات برّ لله" [13]**

الرسالة إلى أهل رومية

"فإن الخطية لن تسودكم، لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة. فماذا إذا؟ أنخطئ لأننا لسنا تحت الناموس بل تحت النعمة؟ حاشا! أستم تعلمون ان الذي تقدمون ذواتكم له عبيداً للطاعة؟ أنتم عبيد للذي تطيعونه: إما للخطية للموت أو للطاعة للبر" [14 - 16]

- إذ يتقدّس الإنسان في كُليته، خاصة النفس، تتحوّل الأعضاء الجسدية من آلات إثم إلى آلات برّ لمجد الله. فتكون النفس كالمرأة التي وجدت الدرهم المفقود (لوقا 15)، فدعت جيرانها ليفرحوا معها ويشاركونها بهجتها بالدرهم. هكذا أعضاؤنا أشبه بالجيران، ندعوها لتمارس فرحنا بخلص الرب عملياً.

- لنذكر دائماً أن عمل المعمودية يجب أن يكلل بالجهاد الروحي من خلال الإمكانيات الجديدة التي صارت لنا بنعمة الله، التي تعمل فينا لتُهَبنا الغلبة والنصرة.

الرسالة إلى أهل رومية

"فشكراً لله أنكم كنتم عبيداً للخطية، ولكنكم أطعتم من القلب صورة التعليم التي تسلمتموها، وإذ أعتقتم من الخطية صرتم عبيداً للبر"

[17 - 18]

- يُذكر القديس بولس اليهود بحديث الرب يسوع معهم بأنهم ليسوا أحراراً لمجرد انتسابهم لإبراهيم جسدياً، بل يتحرروا في الرب يسوع: "فقال يسوع لليهود الذين آمنوا به: أنكم إن ثبتتم في كلامي، فبالحقيقة تكونون تلاميذي، وتعرفون الحق، والحق يحرركم. أجابوه: إننا ذرية إبراهيم ولم نستعبد لأحد قط، كيف تقول أنت أنك تصيرون أحراراً؟ أجابهم يسوع: الحق الحق أقول لكم أن كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية، والعبد لا يبقى في البيت إلى الأبد، أما الابن فيبقى إلى الأبد. فإن حرركم الابن، فبالحقيقة تكونون أحراراً" (يوحنا 8: 31 - 36)

الرسالة إلى أهل رومية

- يقول القديس يوحنا الذهبي الفم أنه يعود فيدخل الثقة في نفوسهم بعد أن أزعجهم بالخزي وأرعبهم بالعقاب، مظهراً لهم أنهم بالفعل نالوا الحرية من شرور كثيرة بفضل النعمة الإلهية، لذا وجب عليهم تقديم الشكر لله على هذه العطية. - قوله "أطعتم من القلب" يشير إلى أن الحرية التي نمارسها لا تتحقق عن اضطرار، إنما تمارس خلال الحب "من القلب" بحرية إرادتنا. - فالحرية في السيد المسيح هي عبودية للبر [18]، لكنها عبودية الحب الاختياري وليس عبودية العنف الإلزامي؛ عبودية النضوج والالتزام بلا استهتار أو تسيب.

الرسالة إلى أهل رومية

- لا يقل المسيحي أنني حرّ، أفعل ما يحلو لي، ليس لأحد أن يكبح إرادتي ما دمت حراً. إن كنت بهذه الحرّية ترتكب خطية فأنت عبد للخطية.
- لا تفسد حريتك بالتحرّر للخطية، إنما لاستخدامها في عدم ارتكاب الخطية:
- "فإنكم إنما دُعيتُم للحرّية أيها الإخوة، غير أنه لا تُصيِّروا الحرّية فرصة للجسد بل بالمحبّة اخدموا بعضكم بعضاً" (غلاطية 5: 13)
- ما هي صورة التعليم التي تسلّمناها لنطيعها من القلب؟ "إذ أعنتُم من الخطية صرتم عبيداً للبرّ"، أي خروج بالنعمة من حالة العبوديّة القاسية التي أدلّتنا بها الخطية، إلى حالة عبودية للبرّ يبتهج بها قلبنا بالحب الداخلي.

الرسالة إلى أهل رومية

- "أتكلّم إنسانياً من أجل ضعف جسديكم. لأنه كما قدتمت أعضاءكم عبيداً للنجاسة والإثم للإثم، هكذا الآن قدموا أعضاءكم عبيداً للبرّ للقداسة. لأنكم لما كنتم عبيد الخطية، كنتم أحراراً من البرّ. فأَي ثمر كان لكم حينئذ من الامور التي تستحون بها الآن، لأن نهاية تلك الامور هي الموت" [19 - 21]
- يقول القديس يوحنا الذهبي الفم أن القديس بولس يتكلّم معهم بكونه إنساناً، يشاركهم ذات العمل، فهو لا يتحدّث متعالياً عن أمر عسير صارم، إنما يوصيهم كإنسان يحمل معهم ذات طبيعتهم، وله خبرة عمليّة أنه كان قبلاً يستخدم أعضاءه، أي وجوده، لتعذيب أولاد الله ولكنها تحررت، فصارت متعبدة للبرّ.

الرسالة إلى أهل رومية

"وأما الآن إذ اعتقتم من الخطية وصرتم عبيداً لله فلکم ثمرکم للقداسة والنهاية حياة أبدية. لأن أجره الخطية هي موت وأما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا" [22 - 23]

- يقارن القديس بولس بين العبودية للآثم والعبودية للبر، فيرى الأولي قاسية ومخزية، إذ يقول "تستحون بها... ونهايتها الموت" [21].
- أما الثانية فعلى العكس تهب "قداسة والنهاية حياة أبدية" [22].
- فإن كانت الأولي تثمر عاراً وموتاً، فالثانية تثمر قداسة وبر أبدي.
- ولكي نحمل الثمر الثاني، أي القداسة والحياة الأبدية، فيجب ان نجتهد لنصل إلي نقاوة القلب والتي بدونها لن ننعم بالحياة الأبدية.
- وكأن العبودية للبر تسندنا في زماننا الحاضر بثمرها الذي للبر حيث تهب القلب نقاوة، فيقدر على معاينة الله، وتدخل بنا إلى العالم الأبدي، إذ تهبنا "حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا" [23].

